حركة اليقظة العربية الحديثة "النشأة والتحديات" حتى عام ١٩١٦

أ. د. حيدر صبري شاكر الخيقاني
جامعة كربلاء- كلية التربية للعلوم الانسانية- قسم التاريخ

المقدمة

نشأت حركة اليقظة العربية في الدولة العثمانية خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر بعد تحديات كبيرة واجهها العرب من قبل العثمانيين، وساهمت مجموعة عوامل داخلية وخارجية في اليقظة العربية وجعلت العرب يدركون ضرورة التخلص من الحكم العثماني والنهوض بواقعهم المتردي الذي عانوا منه لا سيما وانهم تعرضوا للاستغلال من قبل العثمانيين وكذلك من قبل الدول الاوربية الاستعمارية التي اخذت تتنافس فيما بينها للسيطرة على البلاد العربية التي كانت خاضعة للدولة العثمانية بعد ان دب الضعف والانحلال في مختلف مرافق تلك الدولة وبدت مظاهر التحلل والانهيار واضحة عليها خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر.

ان المتتبع لتاريخ اليقظة العربية الحديثة يجد هناك مراحل عدة مر بها العرب للوصول الى مرحلة متقدمة من النضج الفكري والوعي السياسي مما اهلهم للمطالبة بحقوقهم واستخدموا الاساليب السلمية العلنية لتحقيق غاياتهم ولكن الحكومات العثمانية المتعاقبة لم تمنح العرب حقوقهم مما جعلهم يلجؤون الى النضال السري ومن ثم الى اعلان الثورة. يمكن ان نحدد المرحلة الاولى من مراحل اليقظة العربية خلال الفترة الواقعة ما بين النصف الثاني من القرن التاسع عشر وحتى حدوث الانقلاب العثماني عام ١٩٠٨، والتي تعد مرحلة مهمة من مراحل اليقظة العربية كونها المرحلة التي تم فيها وضع الاساس الفكري لليقظة العربية وقد ساعدت عوامل عدة على حدوث اليقظة العربية الفكرية ومن اهمها نشاط حركة الترجمة، وتطور الطباعة، وتوسع النشاط الثقافي للبعثات التبشيرية، وتأسيس الجمعيات الادبية والعلمية والاجتماعية، وظهور نخبة عربية تدعوا الى الاصلاح ومنح العرب حقوقهم وتحرير بلادهم من السيطرة الاجنبية سواء كانت تلك السيطرة عثمانية ام اوربية. اما المرحلة الثانية من اليقظة العربية فنجد انها تمتد خلال الفترة الواقعة ما بين (١٩٠٨-١٩١٣) اي منذ الانقلاب العثماني حتى عقد مؤتمر باريس، وقد اتسمت تلك المرجلة ببروز مظاهر الوعي السياسي لحركة اليقظة العربية من خلال الاحزاب والجمعيات التي تأسست في الولايات العربية وكذلك في بعض الدول الاجنبية والتي قام البعض منها بعقد المؤتمرات التي طالب فيها بالاستقلال عن الدولة العثمانية ومنها مؤتمر باريس الذي عقد عام ١٩١٣ والذي طالب بمنح العرب حقوقهم، اما المرحلة الثالثة فهي تمتد ما بين (١٩١٤-١٩١٦) أي منذ اندلاع الحرب العالمية الاولى حتى اندلاع الثورة العربية الكبرى، التي عبر فيها معظم العرب رفضهم للحكم العثماني ووقفوا الى جانب الحلفاء ضد العثمانيين، وتمكنوا بالفعل من التخلص منهم بعد انتهاء الحرب وهزيمة العثمانيين فيها.

اولا- العوامل التي ساعدت على نشوء ونمو حركة اليقظة العربية منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر حتى حدوث الانقلاب العثماني (١٩٠٨)

منذ بداية السيطرة العثمانية على البلاد العربية في العقود الاولى من القرن السادس عشر لم يقدم العثمانيين على تطبيق اعرافهم وعاداتهم على سكان تلك المناطق، تجنبا لإثارة شعوبها عليهم، وحفاظا على النظام الاقتصادي المتبع فيها، واكتفوا بالسيطرة العسكرية والسياسية عليها، مع ابقاء معظم العادات والتقاليد التي كانت سائدة فيها على حالها، وسمحوا لسكانها الاحتفاظ بأعرافهم وتقاليدهم ولغتهم، ومنحوا لهم حرية التقاضي في الامور الشخصية والمدنية عند زعمائهم الروحانيين، وفي الوقت ذاته فرضوا الجزية على المسيحيين منهم، كما نلاحظ ان العثمانيين عندما سيطروا على بلاد الشام(١٥١٦)، ومصر(١٥١٧)، لم يعتبروا انفسهم غزاة لتلك الاراضي بل اعتبروا انفسهم منقذين لسكانها من المماليك وظلمهم، وكان العرب يعتقدون لسنوات طويلة ان هدف العثمانيين الحفاظ على الاسلام ونشره، ولكن خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر اخذ العرب يدركون الكثير من الحقائق عن العثمانيين، وفي مقدمتها ان العثمانيين لا يعيرون أي اعتبار لمصالح القوميات الاخرى في المناطق التي سيطروا عليها، وان مصالحهم السياسية فوق كل اعتبار، وانهم غزاة للبلاد العربية، لذلك قرروا التحرر من سيطرتهم والاستقلال ببلادهم[١].

ساهمت عوامل عدة في يقظة العرب وادراكهم ضرورة التخلص من الحكم العثماني، يأتي في مقدمتها اطلاع العرب في الولايات العثمانية على مظاهر الحضارة الاوربية اثر التعرف على بعض مظاهر تلك الحضارة نتيجة التغلغل الاوربي الاستعماري في بعض الولايات العربية ومنها مصر عام ١٧٩٨ والجزائر عام ١٨٣٠، فضلا عن الاصلاحات التي قام بها بعض الولاة العثمانيين في الولايات العربية واهمها اصلاحات محمد علي باشا في مصر خلال الفترة ما بين (١٨٠٥-١٨٤٨) [٢]، وقد حاول بعض السلاطين العثمانيين القيام بإصلاحات عامة في الدولة بعد ان ادركوا حاجة الدولة الى ذلك، وكان من هؤلاء السلطان العثماني محمود الثاني[٣]. الذي سعى الى القيام ببعض الاصلاحات العامة لذلك بدأ بإصلاح الجيش عن طريق القضاء على قوات الانكشارية، التي اصبحت من المعوقات الرئيسة في تطور القوات العثمانية وبعد ان نجح في ذلك قام ببعض الاصلاحات على القضاء والنظام الاداري الا ان اصلاحاته اتخذت طابعا مركزيا بعد ان اختصر عدد الايالات العثمانية الثمانية عشر ودمجها في اربع حاكميات رغبة منه في اخضاعها للحكم المركزي الا انه واجه صعوبة في انجاح ذلك بسبب الحاجة الى الدعم المالي، وفي عهد السلطان عبد المجيد الاول[٤]. اتخذت حركة الاصلاح العثماني جدية اكبر وتم الغاء نظام الالتزام الذي كان سائدا في الولايات والذي كان الوالي بموجبه يمنح سلطات عدة في ولاياته من اجل تحصيل اموال الضرائب المفروضة على سكان الولاية، وبموجب الاصلاحات الجديدة اصبح الولاة تحت الرقابة المباشرة للحكومة واصبحوا موظفين يتقاضون رواتبهم من الدولة

ويلتزمون بقوانينها، ومن الملاحظ ان الاصلاحات التي قام بها السلاطين العثمانيين في النصف الثاني من القرن التاسع عشر لم تشمل منح الشعوب الخاضعة للدولة العثمانية حقوقها القومية والوطنية ولم يسمح لها بالاستقلال عنها بل وقفت بشدة[٥]. تجاه جميع الحركات الاستقلالية في الولايات العربية، وكان من اهداف تلك الاصلاحات الرئيسة بالنسبة للعثمانيين هي تأمين المساواة بين المسلمين وغير المسلمين في الدولة وتوفير الظروف المناسبة لهم لكي تستغني الطوائف غير الاسلامية عن اللجوء الى الحماية الاجنبية[٦].

وبهدف تعزيز السلطة المركزية اصدرت الحكومة العثمانية في عهد السلطان عبد العزيز[٧]. وتحديدا عام ١٨٦٤ قانون الولايات الذي قسمت بموجبه الدولة اداريا الى مجموعة ولايات وقسمت الولايات بدورها اداريا الى متصرفيات التي قسمت ايضا بدورها الى قائمقاميات يتبع كل منها عدد من النواحي، وجعلت على كل وحدة ادارية مسؤول اداري يمثل السلطة العليا في وحدته وهذه المناصب هي: (الوالي، المتصرف، القائمقام، مدير الناحية) [٨].

وفي عهد السلطان عبد الحميد الثاني[٩]. اخذت حركة التنظيمات منحى جديد اخر وحصلت الدولة على الدعم من بعض الدول الاوربية وفي مقدمتها بريطانيا التي دعمت الدولة العثمانية بهدف تعزيز قوتها للوقوف بوجه روسيا التي كانت تسعى لبسط نفوذها على الاراضي العثمانية لا سيما وانها اخفقت في تحقيق ذلك الهدف في حرب القرم (١٨٥٣-١٨٥٦) [١٠]. وبموجب الدستور الذي صدر في ٣ كانون الاول ١٨٧٦ تم تأسيس البرلمان العثماني، وكان يتألف من مجلسين الاول يطلق عليه(مجلس المبعوثان) أي مجلس النواب، والثاني (مجلس الاعيان) وافتتح البرلمان جلسته الأولى بإسطنبول في ١٩ آذار ١٨٧٧، والثانية في ١٣ كانون الأول ١٨٧٧ اثر الانتخابات البرلمانية التي حدثت في البلاد، ولكن السلطان عبد الحميد الثاني امر في ١٤ شباط ١٨٧٨ ايقاف عقد جلسات البرلمان خشية من اضعاف سلطته والحد من صلاحياته، ولم ينعقد البرلمان الا بعد حوالي ثلاثة عقود من ذلك التاريخ[١١].

في الوقت الذي كانت فيه السلطات العثمانية تسعى لإجراء اصلاحات لاستعادة قوتها ونفوذها بهدف فرض سلطتها المركزية على ولاياتها، فان الاوضاع داخل الولايات العربية لم تكن تتفق مع تلك السياسة، اذ ان الوعي بين الفئة المثقفة العربية اخذ يظهر ويتطور تدريجيا خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر وظهرت دعوات هؤلاء المثقفين تطالب بمنح العرب الاستقلال، وقد ساعد انتشار المطابع وطباعة الكتب والصحف في تلك الولايات على انتشار الافكار التنويرية بين ابناء الولايات العربية، وساهم انتشار الافكار، التي تدعوا الى الاستقلال عن الدولة العثمانية، الى نمو الافكار التحررية والقومية بين العرب[١٢].

ساهمت عوامل عدة في تأخر العرب عن اللحاق بركب الحضارة العالمي الذي شهدته الدول الاوربية والذي اخذت ملامحه تظهر تدريجيا منذ النصف الثاني من القرن الثامن عشر، ومن هذه العوامل الانعزال النسبي للدولة العثمانية عن الدول الاوربية

خشية من اطماع تلك الدول بأراضيها، لذلك نجد ان العثمانيين كانت لديهم الرغبة في ابقاء بلادهم بعيدة عن اطماع الاوربيين، في الوقت الذي كانت فيه الدولة العثمانية تسعى الى ابقاء الاوضاع على حالها ولا تميل الى التجديد، اضافة الى ذلك فان تحول طرق التجارة العالمية بين اوربا والشرق منذ اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح عام (١٤٩٨) حرم سكان تلك الولايات من التعرف على التطورات الحضارية التي شهدتها الدول الاوربية آنذاك، كما حرمهم من الاموال التي كانوا يحصلون عليها جراء ما يقدمونه من خدمات لتلك القوافل، ولكن على الرغم من كل هذه الاوضاع الا ان البلاد العربية شهدت ظهور بعض المتنورين ورجال العلم، وكان لبعض المراكز العلمية التي كانت موجودة في البلاد العربية دورا مهما في ذلك ومنها الازهر في مصر، والجامع الاموي في دمشق[١٣].

كان للطباعة دورا مهما في تحقيق النهضة الثقافية بالولايات العربية، لا سيما بعد ان تطورت المطابع واصبحت تعمل بالبخار، ففي عام ١٨٨١ طبع في المطبعة الامريكية في بيروت (٥٧٥٠٠) مجلد وبيع منها خلال ذلك العام (١٥٧١٥) مجلدا ادبيا، و(٢٣٤٧٢) مجلدا علميا، اما من حيث الكيفية فقد قامت مطبعة بولاق في القاهرة بنشر العديد من الكتب العربية القديمة التي كانت مخطوطاتها نادرة الوجود، بينما كانت المتبقية منها على وشك التلف، ومنها كتب التاريخ، واللغة، والحديث، والمنطق، وغيرها من الكتب الاخرى[١٤].

وكان للجمعيات الادبية والعلمية والاجتماعية دورا مهما في اليقظة العربية وكانت من بين اهم تلك الجمعيات في بيروت الجمعية السورية العلمية، وجمعية زهرة الآداب، وجمعيات نسائية مثل جمعية شمس البر وجمعية الاحسان، كما نشطت مؤسسات وجمعيات علمية وادبية في مصر ايضا مثل المجمع العلمي المصري، ومجلس المعارف المصري، والجمعية الجغرافية الخديوية، وجمعية الآداب، والجمعية العلمية الشرقية، وغيرها[١٥].

وفي النصف الثاني من القرن التاسع عشر بدأت في مصر وسوريا والعراق نهضة ادبية وفكرية كان من اهم سماتها انشاء المدارس الحديثة على غرار المدارس الاوربية، وانتشار الطباعة والصحافة، وتأسيس العديد من الجمعيات الادبية والعلمية، والمتاحف، وظهور فن التمثيل، وانشغال بعض المستشرقين بتراث الشرق وعلومه. ومن العوامل التي ساعدت على تأسيس المدارس الحديثة في البلاد العربية هي البعثات والارساليات التبشيرية في تلك الولايات، فضلا عن قيام الهيئات الوطنية المحلية بالتشجيع على تأسيسها، وخلال الفترة الواقعة ما بين (١٨٦٠-١٨٩٩) نمت الحركة الثقافية بشكل واضح في الولايات العربية وظهر العديد من المفكرين والكتاب والادباء الذين ساهموا بشكل فعال في احياء الثقافة العربية وقاموا بتأليف الكتب في اللغة والآداب كما قاموا بتأليف المعاجم والموسوعات والقصص والدواوين الشعرية، ومن ابرز هؤلاء بطرس البستاني[١٦]، وناصيف اليازجي[١٧]، واحمد فارس الشدياق[١٨]، وعبد الرحمن

الكـواكبي[١٩]، ومحمـد عبـده[٢٠]، وقاسـم امـين[٢١]، وغيـرهم مـن الكتـاب والادبـاء والمصلحين الذين ظهروا في سوريا ومصر والعراق[٢٢].

وتعاون جمال الدين الافغاني مع محمد عبده (١٨٤٩-١٩٠٥)، الذي تم نفيه الى باريس بعد الثورة العرابية، في ادارة صحيفة "العروة الوثقى" عام ١٨٨٤ التي كانت تنشر مقالات هدفها النهوض بالشرق وتعزيز العلاقات بين الشعوب الاسلامية والثورة على الاستعمار بمختلف اشكاله مما جعل الحكومة الفرنسية تأمر بمنع اصدار الصحيفة بعد صدورها بثمانية اشهر وهذا جعل محمد عبده يغادر فرنسا الى بيروت وهناك اخذ يمارس نشاطه المناهض للاستعمار وانتقد بشدة الاحتلال البريطاني لمصر وحكومة الخديوي توفيق المتعاونة مع الاجنبي وقال عنه:" نحن لا نريد خونة وجوههم مصرية وقلوبهم انجليزية"، ثم عاد محمد عبده الى مصر بعد موافقة الحاكم السياسي البريطاني في مصر اللورد كرومر Lord Cromer [٢٣]. وتولى مناصب في القضاء والافتاء واخذ يدعوا الى الاصلاح الديني والاجتماعي ومهادنة البريطانيين، مما جعل الحزب الوطني المصري ينتقده بشدة[٢٤].

ومن المؤسسات التعليمية التي تأسست في البلاد العربية خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر الجامعة الامريكية في بيروت التي اسسها المبشر الامريكي الدكتور كورينيليوس عام ١٨٦٦، وكذلك كلية القديس يوسف اليسوعية التي اسسها الاباء اليسوعيين في غزير والتي نقلوها عام ١٨٧٤ الى بيروت، فضلا عن المدارس الوطنية التي اسسها بطرس البستاني والمطران يوسف الدبس الماروني، ومما يلاحظ على جانب التعليم في لبنان خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر هو نشاط حركة التبشير واندفاعها نحو فتح المدارس الاجنبية التي تهتم باللغة العربية وتعليمها، وتنافست الارساليات التبشيرية فيما بينها لإنشاء المدارس، اما في دمشق فقد تطور التعليم ايضا بشكل كبير نسبيا خلال تلك المرحلة ففي الفترة الواقعة ما بين (١٨٧٩-١٨٨٢) زاد عدد مدارس دمشق ست مرات، وكان لجمعية المقاصد الخيرية دورا كبيرا في تطوير التعليم هناك وفي عام ١٨٨٢ اصدرت الحكومة العثمانية قرارا باستبدال جمعية المقاصد الخيرية الاسلامية بمجلس معارف وتم تعيين محمود افندي حمزة مفتي دمشق رئيسا له وعين له نائبين هما علاء الدين افندي والشيخ طاهر الجزائري اضافة الى خمسة عشر عضوا، وقد قام المجلس المذكور بدور كبير وفعال في الاهتمام بإنشاء المدارس وتطويرها في دمشق وباقي المدن السورية[٢٥].

وظهر في الولايات العربية بعض المصلحين الذين دعوا الى تحسين حال المرأة ومنحها حقوقها، وكان قاسم امين من اهم هذه الشخصيات اذ سعى الى تطوير مستوى المرأة العربية ومنحها حقوقها وكان يرى ان اصلاح حال المرأة يعني اصلاح الامة ويقول في ذلك: " فهذا الانحطاط في مرتبة المرأة عندنا هو اهم مانع يقف في سبيلنا ليصدنا عن التقدم الى ما فيه صلاحنا... لا بد لحسن حال الامة من تحسن حال المرأة"[٢٦].

وشهدت ولايات العراق منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر نهضة واضحة في مجال التعليم من خلال انشاء المدارس منها الاجنبية التي اسسها المبشرين، والحكومية التي اسستها الادارات المحلية، اما المدارس العالية فكان يوجد في بغداد كلية الحقوق، وكان الطلبة الذين يريدون اكمال تعليمهم العالي في الاختصاصات الاخرى فقد كانوا يذهبون الى المؤسسات التعليمية في اسطنبول، اما المدارس الاجنبية فكانت قليلة نسبيا، مقارنة بالمدارس التي تم فتحها في لبنان وسوريا، وكان للآباء الكرمليين والدومينكيين نشاط واضح في فتح تلك المدارس في بغداد وبعض الولايات العراقية، وقد بذلوا جهودا حثيثة من اجل نشر اللغة الفرنسية بين صفوف الشباب من خلال مدرستهم التي اسسوها في بغداد، اما الاباء الدومينيكيون فقد ركزوا نشاطهم في ولاية الموصل واسسوا لهم عدة مدارس ومؤسسات تعليمية فيها، وحث بعض الادباء والكتاب، الذين تأثروا بالثورات التحررية في اوربا، العرب في الولايات العثمانية على المطالبة بحقوقهم، وكان ابرز هؤلاء اديب اسحاق(١٨٥٦-١٨٨٥)، وفرنسيس مراش(١٨٣٩-١٨٧٤)، وقد عرف اديب اسحاق الحرية على انها "التقيد بقوانين يشترك الشعب في وضعها عن طريق ممثليه"، كما ان المصلح جمال الدين الافغاني وصف في كتاباته الحرية بانها "تؤخذ ولا تعطى والاستقلال يؤخذ ولا يعطى"، كما اوضح رافع الطهطاوي في كتابه (تخليص الابريز في تلخيص باريز) الحقوق التي حصل عليها الشعب الفرنسي اثر نضاله لنيل حقوقه ومنها المساواة والحرية والعدالة[٢٧].

ساهمت الارساليات التبشيرية بشكل كبير في نشر الوعي الثقافي في الولايات العثمانية العربية ولا سيما في بلاد الشام، اذ كانت بلاد الشام بحكم وضعها الاجتماعي الخاص، من ناحية كثرة عدد المسيحيين، ووجود الاراضي المقدسة بها، مركزا مهما لنشاط البعثات التبشيرية منذ القرن السابع عشر، ولكن كان نشاط هذه البعثات قبل النصف الثاني من القرن التاسع عشر مقتصر على الناحية الدينية في اوساط المسيحيين الشرقيين، وكانت غالبية تلك الارساليات كاثوليكية، الا انه خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر توسع نشاطها ومارست نشاطا ثقافيا واجتماعيا، فضلا عن نشاطها الكبير في مجال التعليم[٢٨]. اذ انشأت تلك الارساليات العديد من المدارس والكليات في بلاد الشام ومنها الكلية السورية في بيروت عام ١٨٦٦ كما اهتم رجال الدين في تلك الارساليات باللغة العربية وآدابها بهدف تسهيل مهمتهم في نشر المسيحية بين السكان وقاموا بترجمة الانجيل الى اللغة العربية، وقد استعان رجال الدين البروتستانت ببعض المثقفين العرب المسيحيين لوضع مناهج باللغة العربية للمدارس التي قاموا بتأسيسها في بلاد الشام، وكان من هؤلاء المثقفين ناصيف اليازجي (١٨٠٠-١٨٧١) الذي ساهم في وضع مناهج باللغة العربية والادب لتلك المدارس، كما ترجم الكتاب المقدس من قبل بطرس البستاني، ومن الملاحظ انه كانت هناك منافسة بين رجال الدين المسيحيين الكاثوليك والبروتستانت من اجل نشر معتقداتهم في بلاد الشام، وساهمت الاعمال التي قامت بها الارساليات التبشيرية بزيادة الوعي الثقافي والسياسي لدى العرب في الوليات

العثمانية بشكل واضح حتى ان المثقفين العرب اخذوا يطالبون بعملية اصلاح شامل للخروج من الواقع المتدهور في الدولة العثمانية، وطالب البعض منهم بالانفصال عن الدولة العثمانية وتكوين دولة عربية مستقلة[٢٩].

ومن الجدير بالملاحظة ان العرب المسيحيين في بداية الامر كانوا من اوائل المثقفين العرب الذين طالبوا بالاستقلال عن الدولة العثمانية، ولعل سبب ذلك يعود الى عوامل ثقافية، لانهم كانوا اول من ادخلوا ابنائهم الى المدارس الاجنبية سواء كانت اوربية او امريكية، في الوقت الذي كان فيه الكثير من العرب المسلمين حريصين على عدم ادخال ابنائهم الى تلك المدارس والمؤسسات التعليمية خشية من تعلم الثقافة الغربية التي ينتقدونها ويعتبرونها مخالفة للدين الاسلامي[٣٠].

وكان للجمعيات الادبية التي تأسست في البلاد العربية اثرا كبيرا في اليقظة السياسية العربية وكان من اهمها (الجمعية السورية) التي تأسست عام ١٨٤٧ في بيروت بدعم من المبشرين الامريكان هناك وانضم اليها عدد غير قليل من المثقفين العرب المسيحيين، واستمرت الجمعية المذكورة تمارس نشاطها الثقافي حتى عام ١٨٥٢ وكان اعضائها يجتمعون شهريا، واصدرت عدد من المطبوعات السياسية والعلمية. كما تأسست عام ١٨٥٧ (الجمعية العلمية السورية) والتي اعترفت بها الحكومة العثمانية رسميا وظلت تمارس نشاطها الثقافي والعلمي حتى عام ١٨٦٨ وانضم اليها العديد من المثقفين السوريين، كما تأسست في مصر عام ١٨٦٨ (الجمعية الخيرية) التي اسسها محمد عارف باشا وانشأت لها مطبعة لنشر الكتب الثقافية اطلق عليها اسم (المطبعة الخيرية) وقامت بطباعة كتب عدة في التاريخ والفقه، وفي عام ١٨٧٨ تأسست (الجمعية الخيرية الاسلامية) في الاسكندرية وكانت جمعية علمية ادبية اضافة الى نشاطها السياسي والاجتماعي، ونجحت في انشاء بعض المدارس التي لا تخضع لسيطرة الحكومة وكان اعضائها ينتقدون الحكومة المصرية ويطالبون بالإصلاح[٣١].

ادت العوامل التي اوضحناها في الصفحات السابقة الى انتشار الوعي في الولايات العربية. فضلا عن ذلك فقد تأسست بعض الجمعيات السرية التي كانت من اهم اهدافها تقويض الحكم العثماني، ومن ابرز تلك الجمعيات هي (جمعية العثمانيين المحدثين) السرية التي تأسست في اسطنبول عام ١٨٦٥ وقد ضمت عدد غير قليل من العرب، بالإضافة الى الاتراك، وكان هدف الجمعية في بداية الامر وضع دستور للدولة ولكنها اخذت بعد ذلك تحرض على الثورة، وتألف على غرارها في بيروت عام ١٨٧٥ جمعية سرية ثورية ايضا اطلق عليها اسم (جمعية بيروت السرية) وعرفت بين اعضائها باسم (الجمعية العربية السرية)، وكان معظم اعضائها من الشباب المثقف من خريجي الجامعة الامريكية في بيروت وكانت من اهدافها استقلال لبنان عن الدولة العثمانية[٣٢].

ثانيا . مظاهر الوعي السياسي لحركة اليقظة العربية منذ الانقلاب العثماني حتى عقد مؤتمر باريس (١٩٠٨-١٩١٣)

بدأت النهضة العربية تنتقل من الطور الادبي الرومانتيكي الى طور العمل السياسي خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، واخذ المعارضين للحكم العثماني يمارسون نشاطا عمليا اكثر فعالية عن طريق لصق المناشير المناهضة للحكومة على الجدران ليلا في الاماكن العامة، وطالب اصحاب تلك المنشورات باستقلال البلاد العربية عن الحكم العثماني، ومارست جمعية بيروت السرية نشاطا واضحا في نشر المنشورات بين العامة، وكان الجمعية المذكورة تطالب بمنح الاستقلال لسوريا ولبنان عن الدولة العثمانية[٣٣]، واعتراف الحكومة العثمانية باللغة العربية احدى اللغات الرسمية في الدولة، والغاء الرقابة والقيود عن حرية الرأي، وعدم استخدام الوحدات العسكرية المجندة من اهل الولاية خارج ولاياتهم. وكان الشعراء والكتاب ينظمون القصائد ويكتبون المقالات التي تحفز العرب على النهوض والتخلص من الحكم العثماني ومنهم عبد الرحمن الكواكبي، وابراهيم اليازجي، ونجيب الحداد، وايوب ثابت. وكان عبد الرحمن الكواكبي يعتقد بضرورة انشاء منظمة اسلامية عربية تسعى الى تحقيق اتحاد الشعوب الاسلامية، وقد طرح ذلك في كتابه (ام القرى) الصادر عام ١٨٩٨، والذي صور فيه بأسلوب روائي جمعية تعقد من قبل مجموعة من العلماء المصلحين الذين يجتمعون بين فترة واخرى لتحديد اسباب ضعف الامة الاسلامية وعلاج ذلك[٣٤].

وقف السلطان عبد الحميد الثاني ضد اية محاولة استقلالية عربية، لأنه وجد ان عدد العرب من بين سكان الدولة العثمانية حوالي عشرة ملايين واستقلالهم عنها يعني انهيار تلك الدولة لذلك وقف بالضد من الدعوات للاستقلال لاسيما وان الولايات العربية تعد من اغنى الولايات من ناحية مواردها الاقتصادية وهي تدعم خزينة الدولة بحوالي ثلث إيراداتها، ناهيك عن القوة البشرية الموجودة في الولايات العربية والتي تعتمد عليها الدولة بشكل كبير في دعم قواتها العسكرية، فضلا عن املاك الاوقاف الموجودة في الولايات العربية التي تضاهي ما موجود من املاك اوقاف في جميع الولايات العثمانية الاخرى، لذلك كانت الحكومة العثمانية حريصة على عدم استقلال الولايات العربية بل منعت دعاة الاستقلال حتى من الاتصال بعرب الخارج، وقامت بنفي الوطنيين العرب الذين تعتقد انهم يشكلون خطرا على مصالحها. وحاول السلطان عبد الحميد الثاني استغلال موجة الشعور الديني في البلاد العربية وتسخيرها لمواجهة الدول الاستعمارية الاوربية الطامعة في بلاده، وكسب المسلمين في شتى بقاع الارض الى جانبه ولا سيما المسلمين العرب منهم، في الوقت الذي كانت فيه بعض شعوب مستعمرات تلك الدول من المسلمين، لذلك نلاحظ الكثير من السياسيين في الدول الاستعمارية يعارضون تلك السياسة، ومنهم على سبيل المثال وزير الخارجية البريطاني ادوارد غراي Edward Grey(١٨٦٢-١٩٣٣) واعتبروا ان فكرة الجامعة الاسلامية التي طرحها السلطان بمثابة بؤرة للتعصب الديني وانها موجهة ضد الدول المسيحية، ولكن السلطان تواصل

في ذلك المشروع واخذ يستميل الشخصيات الدينية ويغدق عليهم بالعطايا، كما اسس مدرسة لإعداد وتأهيل الدعاة ونشرهم في العالم الاسلامي(٣٥).

وكان لانتشار الصحف في الولايات العربية اثرا فعالا في انتشار الوعي الثقافي في تلك الولايات، ومن بين اهم تلك الصحف صحيفة(الاخبار) الي صدرت عام ١٨٥٨ في بيروت التي وكان محررها خليل الخوري، وصحيفة (الجوائب) التي اسسها احمد الشيداق في اسطنبول وصدر العدد الاول منها عام ١٨٦٠، وصحيفة (الرائد التونسي) التي صدرت في تونس عام ١٨٦١، وصحيفة (سوريا) التي صدرت في دمشق عام ١٨٦٥، وصحيفة (لبنان) التي صدرت عام ١٨٦٧ في بيرو ت، وصحيفة (الفرات) في حلب عام ١٨٦٧ ايضا، وصحيفة (زوراء) عام ١٨٦٨ في بغداد، واصدر الاباء اليسوعيين عام ١٨٦٩ في بيروت صحيفة اسبوعية اطلقوا عليها اسم (البشير)، كما اصدر مسلموا بيروت عام ١٨٧٤ صحيفة اسبوعية هي صحيفة (ثمرات الفنون)، وصدرت عام ١٨٧٦ في الاسكندرية صحيفة (الاهرام)، وفي عام ١٨٧٧ اسس خليل سركيس، صهر بطرس البستاني، صحيفة نصف شهرية في لبنان باسم (لسان الحال) ثم تحولت بعد ستة عشر عام الى يومية، واسس نقولا الياس نقاش(١٨٢٥-١٨٩٤) عام ١٨٨٠ صحيفة (المصباح)، واسس البروتستانت صحيفة (الصبح المنير)، والارثوذكس صحيفة (الهدية)، كما صدرت صحيفة (الزمان) في القاهرة عام ١٨٨٢، وفي عام ١٨٨٦ اصدرت السلطة العثمانية في بيروت صحيفة (بيروت)، وفي عام ١٨٨٨ صدرت صحيفة (المقطم) في القاهرة، كما صدرت صحيفة (المؤيد) في القاهرة ايضا عام ١٨٨٩(٣٦). اما المجلات التي صدرت في بيروت خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر فتعد مجلة المقتطف التي صدرت عام ١٨٧٦ في لبنان من اهم تلك المجلات والتي اسسها يعقوب صروف وفارس نمر وكانت مجلة تنشر مواضيع علمية وادبية وسياسية مختلفة، وكان للمجلة اثرا في تنمية الوعي الفكري العربي وقد انتقل مقرها بعد فترة من صدورها الى القاهرة، كما اشترك مؤسسيها بتأسيس مجمع علمي في بيروت اطلقوا عليه اسم (المجمع العلمي الشرقي) وكان ملتقى للمثقفين العرب(٣٧).

ومن الملاحظ ان الصحافة المصرية تلقت دعما كبيرا من السوريين الهاربين الى مصر، التي كانت تحت الاحتلال البريطاني، بسبب معارضتهم لسياسية للحكومة العثمانية في اواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، وقد كان لهؤلاء نشاط ملحوظا في دعم الصحافة المصرية وتطورها وبذلوا جهودا حثيثة مع الصحفيين المصريين في تقويض نظام الحكم العثماني وتوعية الشعب بحقيقته(٣٨).

ومن خلال ما تقدم نلاحظ ان الولايات العربية كان يوجد فيها مجموعة من العلماء والمصلحين والسياسيين الذين ايقظوا في كتاباتهم وخطبهم واحاديثهم العزة في النفوس ودفعوا العرب في تلك الولايات الى المطالبة بحقوقهم، وفي مقدمتها الحرية والاستقلال عن الحكم الاجنبي، سواء كان العثماني ام الاوربي، ووقفت الحكومة العثمانية موقفا معاديا تجاه كل من طالب بالاستقلال عنها، وقامت السلطات بملاحقة الوطنيين ممن

عارضوا سياستها، وشددت مراقبتها بشكل خاص على الكتاب والصحفيين، مما اضطر العديد منهم للهجرة الى مصر واخذوا يمارسون نشاطهم من هناك[٣٩].

ادت سياسة الاستبداد التي اتبعها العثمانيين ضد معارضيهم الى تأسيس جمعيات سرية تطالب بإصلاح الاوضاع في الدولة، والخلاص من الحكم المطلق، وكان من بين تلك الجمعيات (جمعية الاتحاد والترقي) التي تأسست نواتها الاولى عام ١٨٨٩ وتمكنت من ممارسة نشاطها بشكل فعال داخل الدولة العثمانية، وانضم اليها العديد من المثقفين من الاتراك والعرب، وقد لاقت قبولا كبيرا من ضباط الجيش ولا سيما في مقدونيا، ونظرا لقناعة هؤلاء الضباط بضرورة الاصلاح، لا سيما بعد ان خسرت الدولة الكثير من مكانتها اثر الهزائم التي لحقت بها في البلقان، اعلنوا العصيان وانضمت اليهم الفرق العسكرية الموجودة في الاناضول وحددوا مطالبهم بإعادة العمل بالدستور (الصادر في ٣ كانون الاول ١٨٧٦) وقاموا بانقلاب ضد الحكومة العثمانية القائمة في ٢٤ تموز ١٩٠٨، وقد ولاقت حركتهم دعما شعبيا كبيرا في اسطنبول وبعض الولايات العثمانية الاخرى مما جعل السلطان يتبع القوة لقمع الحركة وقتل من انصارها حوالي (٣٠٠) شخص ومنهم النائب العربي محمد ارسلان، الامر الذي جعل قادة الحركة يزحفون بقواتهم العسكرية على اسطنبول وسيطروا عليها وشكلوا حكومة ثورية، واعلنوا عن سقوط الحكومة العثمانية، واصبحت العاصمة تحت ادارة محمود شوكت باشا(١٨٥٦-١٩١٣) اعتبارا من ٢٤ نيسان ١٩٠٩ واجتمع مجلس المبعوثان وقرر خلع السلطان عبد الحميد الثاني عن الحكم وتم تنصيب اخيه محمد رشاد(١٨٤٤-١٩١٨) سلطانا على الدولة في ٢٧ نيسان ١٩٠٩[٤٠].

استبشر العرب في الولايات التابعة للدولة العثمانية خيرا في الانقلاب العثماني، وتغيير السلطان، واعلان اعادة العمل بالدستور، واعتبر العرب الثورة نصرا لهم، ووصف شاهد عيان وصول خبر الانقلاب الى سوريا بقوله: " اثارت هذه الاحداث الحماس في كل انحاء سوريا، اذ عانق المسيحيون المسلمون، بل وحتى القساوسة والملالي لبعضهم البعض في الاجتماعات العامة وحيا الكتاب عهد الحرية الجديد والمساواة والاخوة"[٤١]. اسس بعض الوطنيين العرب بعد حدوث انقلاب الاتحاديين عام ١٩٠٨ (جمعية الاخاء العربي العثماني)، التي كان من بين اهم اهدافها تعزيز اواصر العلاقة بين العرب والعثمانيين، وتحسين احوال العرب العامة، وتطوير التعليم. ولكن تفاؤل العرب بتحسين علاقاتهم بالاتحاديين للحصول على حقوقهم انتهى عندما ظهرت نتائج الانتخابات البرلمانية الاولى بعد الانقلاب، فعلى الرغم من تفوق العرب على الترك في العدد فقد افتتح مجلس المبعوثان العثماني في شهر كانون الاول، وكان عدد اعضائه (١٥٠) عضوا تركيا، و(٦٠) عضوا عربيا، بينما كان عدد الاعضاء في مجلس الاعيان(٤٠) عضوا من بينهم ثلاثة عرب فقط[٤٢].

اتخذ الاتحاديين اجراءات عدة للقضاء على اليقظة العربية وهاجموا جمعية الاخاء العربي العثماني، وطاردوا الضباط العرب، ومنعوهم من الالتحاق بالبعثة العلمية الى المانيا، واستدعوا معظم الضباط العرب من ولاياتهم وابقوهم في اسطنبول، كما قاموا

بإقصاء العرب من الوظائف الحكومية المهمة في الدولة، ولا سيما في وزارة الخارجية، ومنعوا مشاركة الاعضاء العرب في جمعية الاتحاد والترقي باللجنة المركزية للجمعية، كما منعوهم من حضور الاجتماعات المهمة للجمعية، واستبدلوا الولاة والمتصرفين والقضاة العرب بغيرهم من الاتراك، ووقفوا بالضد من كل مشروع علمي وادبي في البلاد العربية وعرقلوا عملية تعليم اللغة العربية حتى ان بعض القضاة والقائمقامون الاتراك في الولايات العربية كانوا يستخدمون مترجمين للتعامل مع العرب[٤٣]. في الانتخابات البرلمانية الاولى التي جرت بعد انقلاب الاتحاديين عام ١٩٠٨ حرص الاتحاديين على وصول الاتراك الى عضوية مجلس المبعوثان في الولايات العربية واستخدموا مختلف السبل غير النزيهة لتحقيق هذا الهدف، وبعد ان حققوا ذلك حاولوا عدم فسح المجال للعرب بالحصول على حقوقهم، واخذوا يتذمرون حتى من استخدام اللغة العربية في المجالس الرسمية وعلى سبيل المثال عندما اختتم شمسي باشا وزير الاوقاف خطابه في مجلس المبعوثان بتلاوة دعاء باللغة العربية تذمر النواب الاتراك بشكل علني من ذلك، ولم يخفف من تذمرهم الا عندما اوضح لهم رئيس مجلس المبعوثان ان الدعاء الذي ذكره الوزير ليس ضمن خطابه الرسمي[٤٤]. الا ان العرب لم ينصاعوا للاتحاديين لاسيما وانهم كانوا من القوميات الرئيسة في الدولة لذلك رفضوا اية محاولة لتأكيد تفوق العنصر التركي، لان ذلك سيؤدي بلا شك الى الاخلال بالتوازن بينهم وبين الاتراك، واخذت القومية العربية تنمو تدريجيا تحت ظل هذه الظروف الجديدة كردة فعل على سياسة الاتحاديين، ونشط بعض المثقفين في بلاد الشام بالدعوة الى احياء الوعي بالماضي العربي، واكد بعض المصلحين الاسلاميين على اهمية دراسة المرحلة المبكرة من التاريخ الاسلامي التي كان فيها العرب بأوج قوتهم. ومن الملاحظ ان القومية العربية كانت القوة السياسية المهمة بعد انقلاب الاتحاديين، لا سيما وان مركز السلطان قد اصبح اضعف مما كان عليه [٤٥]. ولكن على الرغم من وجود حركات وطنية وقومية في الولايات العربية خلال هذه الفترة الا انه لم يكن هناك تعاون واع بين هذه الحركات المختلفة، وكانت المواصلات البطيئة احدى العقبات التي اعاقت تحقيق ذلك، لا سيما وان خطوط السكك الحديدية كانت تستخدم على نطاق ضيق في بعض الولايات العثمانية، والصحافة مقيدة وتحت مراقبة الحكومة، كما ان تنقلات الافراد كانت مقيدة، وهذه العوامل كانت من المعوقات التي ادت الى عدم ظهور حركة عربية شاملة آنذاك[٤٦].

وساهمت الجمعيات السياسية العربية التي اسسها العرب، في داخل الدولة العثمانية وخارجها ايضا، بشكل كبير في تكوين الوعي السياسي العربي، فقد انشأت اول جمعية عربية معارضة للعثمانيين في باريس عام ١٩٠٤ وقد اطلق عليها اسم (رابطة الوطن العربي) واصدرت نداء الى العرب في الولايات العثمانية تحثهم فيه على التخلص من السيطرة العثمانية والاستقلال عنها، وفي عام ١٩٠٥ وجهت الجمعية نداء الى المجتمع الانساني في اوربا وامريكا اوضحت فيه مطالب العرب في الولايات العربية تحت الحكم العثماني. ثم اسس المثقفين العرب في اسطنبول عام (١٩٠٩) المنتدى الأدبي وقد

اتخذوه مكانا لنشر الوعي السياسي، على الرغم من ان ظاهره كان ادبيا الا ان بعض اهدافه كانت سياسية، ولكن الحكومة العثمانية اغلقته عام ١٩١٥. وفي عام ١٩٠٩ تأسست ايضا جمعية سرية في اسطنبول كان معظم زعمائها من ضباط الجيش ومنهم عزيز علي المصري[٤٧]. وكان هدفها الحصول على حقوق العرب من الحكومة العثمانية الا ان نشاطها توقف بسبب معرفة الحكومة العثمانية بأمرها. وفي عام ١٩١١ اسس الطلبة العرب في باريس جمعية عربية قومية سرية اطلقوا عليها اسم (جمعية العربية الفتاة) وكان اعضائها من العرب المسلمين وهدفها استقلال البلاد العربية عن الحكم العثماني وانتقل مركز الجمعية الى بيروت[٤٨].

اسس عزيز علي المصري عام ١٩١٣ جمعية سرية اطلق عليها اسم (جمعية العهد) وانضم اليها العديد من الضباط العرب في الجيش العثماني، وتم تأسيس فرعين لها الاول في الموصل والثاني في بغداد وكان من اهم اهدافها استقلال العرب عن الحكم العثماني وفي عام ١٩١٥ اتخذت الجمعية مدينة دمشق مقرا لها، ولما علمت الحكومة العثمانية بتلك الجمعية ونشاطها امرت بنقل (٤٩٠) ضابط من الضباط العرب من اسطنبول الى المدن التركية البعيدة جدا عن العاصمة وكان من بين هؤلاء (٣١٥) ضابط من اعضاء جمعية العهد وسعت الحكومة بعد ذلك الى اتباع سياسة التتريك التي تزعمها احمد جمال باشا، واخذت تقاوم الحركات الاصلاحية العربية وامرت بإلغاء الاحزاب العربية، وتشكلت شعبة في كل من وزارة الداخلية ووزارة الخارجية مهمتها الاشراف على الشؤون العربية ومقاومة اية حركة تدعوا الى الانفصال واقصاء العرب المعارضين لسياسة الحكومة، وتعزيز سياسة الاتحاديين في جميع الولايات العثمانية، وفي ٩ شباط ١٩١٣ تم اعتقال رئيس جمعية العهد عزيز علي المصري ولفقوا له تهم عدة ومنها الخيانة العظمى وتم الحكم عليه بالإعدام الا ان الجهود التي بذلها الوطنيين العرب وشيخ الازهر والمعتمد البريطاني في القاهرة هربرت كتشنر Herbert Kitchener[٤٩]. لدى الحكومة العثمانية ساعدت في تخفيف الحكم عليه الى السجن مع الاعمال الشاقة لمدة (١٥) عام[٥٠]. وتأسس عام ١٩١٢ (حزب اللامركزية الادارية العثماني) في القاهرة وكان من اهم اهداف هذا الحزب اقناع الحكومة العثمانية بتطبيق اللامركزية في الحكم وقد افتتحت للحزب فروع في كل من سوريا والعراق وكان الحزب يمارس نشاطه بشكل علني بل سمح للأتراك الانضمام الى صفوفه. وفي عام ١٩١٣ تأسست (الجمعية الاصلاحية في بيروت) وكان من اهم اهدافها منح العرب حقوقهم وجعل اللغة العربية لغة رسمية للبلاد بالإضافة الى اللغة التركية الا ان الحكومة العثمانية وقفت موقفا معاديا من مطالب الجمعية وامرت بإغلاقها[٥١].

كانت فكرة عرض القضية العربية على الدول الكبرى من الاهداف التي سعى الوطنيين العرب الى تحقيقها، ووقع اختيارهم على مدينة باريس لعقد مؤتمر عربي يناقش قضية استقلال العرب عن الدولة العثمانية، وفي ٤ نيسان ١٩١٣ وجه اعضاء (جمعية العربية الفتاة) دعوة الى اللجنة العليا لحزب اللامركزية في القاهرة، والى الجمعيات العربية الاخرى يدعونهم لحضور المؤتمر لذي قرروا عقده بهدف اتخاذ

إجراءات موحدة لحماية العرب والمطالبة بالحكم اللامركزي، كما ارسلت (لجنة الاصلاح) التي كانت تعاني من قمع الاتحاديين الى منظمي المؤتمر تبلغهم بالترحيب بالمقترح واستعداد اعضائها للمشاركة فيه، وعقد المؤتمر في باريس خلال المدة ما بين (١٨-٢٣ حزيران ١٩١٣) بحضور (٢٤) عضوا رسميا اذ حضره اعضاء من لبنان والعراق وسوريا وفلسطين وباقي الولايات العربية فضلا عن مندوبين عن الجاليات العربية المقيمة في الولايات المتحدة الامريكية، وكانت اهم مقرراته ان يحصل العرب على حقوقهم السياسية وان يشتركوا في الادارة المركزية للدولة فعليا[٥٢].

واكد المؤتمرون على ضرورة استخدام اللغة العربية في مجلسي المبعوثان والاعيان، وان تكون الخدمة العسكرية محلية في الولايات العربية الا في الحالات الضرورية القصوى، وتشكيل ادارة لا مركزية في كل ولاية عربية تهتم بمعالجة مشاكلها وتلبي حاجاتها. ومن خلال ما طرحه المؤتمرون نلاحظ انهم لا يريدون الانفصال التام عن الدولة العثمانية بقدر مطالبهم بالإصلاح الشامل في الدولة، ولا سيما في الولايات العثمانية، وقد اصدرت الحكومة العثمانية الاتحادية اعلانا اوضحت فيه الاستجابة لبعض مطالب العرب التي طرحت في مؤتمر باريس ووافقت على جعل الخدمة في الولايات العربية محلية على ان لا يشمل ذلك حالات الضرورة، كما تمت الموافقة على ان يكون التدريس في المدارس الابتدائية والثانوية باللغة العربية في الولايات التي يكون معظم سكانها من العرب، اما بخصوص الموظفين المعينين في الولايات العربية فقد اشترطت التعليمات الجديدة معرفتهم للغة العربية، وقد وافق بعض زعماء العرب على ذلك[٥٣].

يعد المؤتمر العربي الاول الذي عقد في باريس خلال المدة ما بين (١٨-٢٣ حزيران ١٩١٣) نقطة تحول رئيسة تدل على تبلور نشأة هوية عربية متمايزة عن الهوية العثمانية، وكان للمثقفين العرب من المسلمين والمسيحيين دورا رئيسا في انعقاد المؤتمر المذكور وظهرت في المؤتمر دعوات الى توحيد جهود العرب من اجل الحصول على حقوقهم[٥٤].

ثالثا . التحديات التي واجهت حركة اليقظة العربية منذ بدء الحرب العالمية الأولى حتى اندلاع الثورة العربية الكبرى (١٩١٤-١٩١٦).

عندما اندلعت الحرب العالمية الاولى كان العرب يعتقدون ان حكومة الاتحاديين العثمانية سوف تلتزم بالوعود التي قطعتها للعرب اثر الاتفاق اذي حدث بين الطرفين بعد مؤتمر باريس بل ان بعض الشخصيات العربية مثل الضابط والسياسي عزيز علي المصري(١٨٨٠-١٩٦٥) في مصر، وطالب النقيب(١٨٧١-١٩٢٩) رئيس جمعية الاصلاح في البصرة، عملوا على عدم توتر الاوضاع بين العرب والحكومة العثمانيين وكانوا يعتقدون خيرا بالوعود العثمانية، في الوقت الذي كان هناك اطمئنان لدى العديد من رجال الدين بإبقاء الشريف حسين بن علي(١٨٥٣-١٩٣١) اميرا على مكة، الا ان

العثمانيين طالبوا الشريف حسين ان يكون الحجاز تحت حكمهم المباشر، لانهم كانوا حريصين على حصر السلطة في الولايات العربية بأيديهم، واخذت سياسة التتريك التي سار عليها الاتحاديين تثير الشك لدى العرب والشعوب الاخرى التي تتكون منها الامبراطورية العثمانية، واخذ الاتحاديين يسعون الى سحب جميع التنازلات التي قدموها للعرب واتباع سياسة التتريك واسسوا جمعية اطلقوا عليها (ترك اوجاغي) بهدف نشر الافكار القومية بين صفوف الترك، وفي ٥ كانون الاول ١٩١٤ وصل احد زعماء الاتحاديين المدعو احمد جمال باشا (١٨٧٣-١٩٢٢) الى دمشق قائدا على الجيش العثماني الرابع في دمشق واوضح بعد وصوله الى هناك ان حكومته تقف بشدة ضد كل الذين يدعون الى الانفصال عن الدولة العثمانية، وتم تعيين احمد جمال باشا في العام التالي حاكما على بلاد الشام وعندما وجد نشاط الحركة الوطنية بين العرب هناك سعى الى تشتيت القوات العسكرية العربية الموجودة في سوريا وامر بنقلها الى الاناضول وجلب بدلها قوات تركية، وامر بإلقاء القبض على زعماء الحركة الوطنية وتم اعدام العديد منهم بعد توجيه التهم لهم، ومنها التشجيع على الاستقلال عن الدولة، والتعاون مع قوات الحلفاء لاحتلال بلاد الشام، وفي ٢١ اب ١٩١٥ علقت الجثث في المشانق في شوارع دمشق[٥٥]. ومن الجدير بالذكر ان سياسة التتريك التي اتبعها الاتحاديين في الولايات العربية اثبتت موقفهم العدائي تجاه العرب كونهم سعوا من خلالها الى "عثمنة" تلك الولايات بهدف تفوق الاتراك على حساب العرب وكان ذلك احدى الدوافع التي عمقت الفجوة بين العرب والاتراك وجعلت العرب يدركون ضرورة الاستقلال عن الدولة العثمانية وابراز كيانهم الخاص المتميز[٥٦].

ومن الملاحظ انه في بداية حركة اليقظة العربية نجد ان الاوضاع العامة في الولايات العربية لم تكن متشابهة، ولكن كان ما يميزها هو عدم الاستقرار، فبينما كانت مصر خاضعة للاحتلال البريطاني منذ ١٨٨٢ نجد ان بلاد الشام كانت تحت السيطرة العثمانية، وهذا ما جعل هناك تباين واضح بين دعاة الاصلاح المصريين والشاميين فقد كان جمال الدين الافغاني يدعوا الى الاصلاح تحت ظل الخلافة الاسلامية بهدف الوحدة بين المسلمين، بغض النظر عن انتمائهم القومي، أي الاصلاح مع البقاء تحت الحكم العثماني، اما المصلح محمد عبده فانه كان يدعوا الى الاصلاح تحت ظل الوطنية وهذا ما جعله يتصادم او يهادن الخديوي احيانا والبريطانيين احيانا اخرى. اما عبد الرحمن الكواكبي فأننا نجد دعوته للإصلاح تأخذ منحى قومي[٥٧].

سعى الشريف حسين الى التخلص من الحكم العثماني وبدعم من البريطانيين واتصل بالأمراء العرب في شبه الجزيرة العربية لمعرفة موقفهم من القضية فأرسل الى الادارسة في عسير، وال رشيد في حايل، وال سعود في الرياض، والامام يحيى بن حميد الدين في اليمن، الا ان ال رشيد اعلنوا ولائهم للعثمانيين كما اعلن امام اليمن ولائه للعثمانيين فسارع البريطانيون وعقدوا معاهدة دارين مع ال سعود في ٢٦ كانون الاول ١٩١٥ وتضمنت توفير الحماية لهم من جانب الحكومة البريطانية، كما عقدوا معاهدة اخرى مع الادارسة في عسير عام ١٩١٦ ضمنوا بموجبها موقفهم الودي تجاه بريطانيا،

وبذلك تأكد الشريف حسين والحكومة البريطانية ان الموقف في الجزيرة العربية لصالحهم عند اندلاع الثورة، وقد اوضح السياسيين البريطانيين للشريف حسين انهم على استعداد لدعمه ليصبح خليفة على المسلمين، وهذا ما جعله يتحمس لإعلان الثورة ضد العثمانيين واخذ يتصل بالزعماء العرب في الولايات العثمانية الاخرى خارج الجزيرة العربية للوقوف الى جانب الثورة المزمع انطلاقها من الحجاز، كما اتصل بالجمعيات الوطنية في سوريا، وادرك بعد تلك الاتصالات ان التيار الغالب في سوريا والعراق هو الوقوف الى الثورة ضد العثمانيين والتفاهم مع بعض الدول الاوربية الكبرى حول النظام السياسي الذي سيتم تشكيله بعد نجاح الثورة، وكان هناك تيار اخر اسلامي النزعة يرى ضرورة التفاهم مع العثمانيين وتشكيل جبهة اسلامية ضد الدول الاوربية الا ان هذا الاتجاه لم يلق تأييد كبير في العديد من الولايات العربية لا سيما وان السياسة التي اتبعها جمال باشا السفاح في سوريا واعدامه لزعماء الحركة الوطنية جعلت العرب يحبذون التخلص من الحكم العثماني[٥٨]، وفي ربيع عام ١٩١٥ ارسل الشريف حسين ابنه فيصل الى دمشق واستقبله هناك جمال باشا، وفي الوقت ذاته اتصل هناك بالقوميين السوريين بأعضاء جمعيتي العربية الفتاة والعهد التي كان ينتمي اليها، وعرض عليهم الموقف واتصالات والده مع البريطانيين، وتم الاتفاق على تعاون العرب مع البريطانيين بموجب شروط وضعها العرب اطلق عليها اسم (بروتوكول دمشق) وطالب الوطنيين العرب بموجب هذا البروتوكول بتعهد البريطانيين بالاعتراف باستقلال الدولة العربية في حدودها الطبيعية[٥٩]. وكان فيصل متردد من التحالف مع البريطانيين وحلفائهم الغربيين كونه كان يعتقد ان بريطانيا لها اطماع في جنوب العراق وانهم لم يقدموا اية ضمانات للعرب لدعمهم، وان الفرنسيين لهم اطماع في سوريا، وان العرب غير قادرين في تلك المرحلة من القيام بثورة ناجحة ضد العثمانيين، اما اخيه عبد الله فقد كان يختلف معه في الرأي فقد كانت له ثقة كبيرة بالبريطانيين وبقدرة العرب من القيام بثورة ناجحة ضد العثمانيين بدعم بريطانيا، وبعد المباحثات التي اجراها فيصل نيابة عن والده مع الجمعيات والشخصيات العربية المهمة اتفق الرأي على القيام بالثورة ضد العثمانيين والوثوق بوعود بريطانيا واتفق الزعماء العرب على زعامة الشريف حسين للثورة، وسلم زعماء جمعيتي العهد والعربية الفتاة الى الامير فيصل خريطة سياسية للدولة العربية المزمع اعلانها بعد نجاح الثورة كما طلبوا ان يتفاوض والده مع البريطانيين حول الغاء الامتيازات الاجنبية في البلاد العربية، وعقد تحالف دفاعي بين بريطانيا والدولة العربية المستقلة، ومنح بريطانيا الافضلية في المشاريع الاقتصادية، وقد نقل الامير فيصل الى والده في حزيران من عام ١٩١٥ جميع تلك المطالب، وبعد اسابيع من عودته الى مكة بدأت المراسلات بين الشريف حسين وبين السير هنري مكماهون Sir Henry McMahon (١٨٦٢-١٩٤٩)، ففي ١٤ تموز ١٩١٥ كتب الشريف حسين الى السير مكماهون مقترحاته بشأن اعلان الثورة وطلب منه ان تعترف بريطانيا باستقلال البلاد العربية من مرسين_ اطنة حتى الخليج العربي شمالا، ومن بلاد فارس حتى خليج البصرة شرقا، ومن المحيط الهندي للجزيرة جنوبا

باستثناء عدن، ومن البحر الاحمر والبحر المتوسط حتى سيناء غربا، على ان تعترف بريطانيا بتعيين خليفة عربي على المسلمين[٦٠].

رد السير مكماهون في ٣٠ اب ١٩١٥ على رسالة الشريف حسين الا ان رده لم يكن صريحا بل اتسم بالمراوغة الرسمية[٦١]. واعرب مكماهون للشريف حسين عن شكره له ومبينا ان مصالح بريطانيا هي مصالح العرب، وان بريطانيا على استعداد لمنح العرب الاستقلال، وان قضية الحدود المقترحة سابقة لأوانها، وفي ١٩ ايلول ١٩١٥ بعث الشريف حسين برسالة الى مكماهون ابلغه فيها بضرورة الالتزام بالحدود للدولة العربية التي تم ذكرها له برسالته السابقة مبينا ذلك بقوله: " ان هذه الحدود ليست لرجل واحد يمكن ارضاءه ومفاوضته بعد الحرب، بل هي مطالب شعب يعتقد ان حياته في هذه الحدود وهو متفق بأجمعه في هذا الاعتقاد"[٦٢]، وفي ٢٦ تشرين الاول ١٩١٥ بعث مكماهون الى الشريف حسين رسالة ذكر له فيها بانه ابلغ الحكومة البريطانية بمطالب العرب التي ابلغها له وانه يبلغه بالنيابة عن حكومته ان ولايتي مرسين والاسكندرونة وبعض الاجزاء من بلاد الشام التي تقع في الجبهة الغربية لولاية دمشق وحمص وحلب لا يمكن ان يقال عنها بانها مناطق عربية بشكل تام، لذلك يجب ان تستثنى من الحدود المطلوبة، وان العرب اذا ما وافقوا على ذلك فانه مخول من حكومته ان يتعهد لهم باعتراف الحكومة البريطانية باستقلال العرب، والاعتراف بحدود دولتهم الجديدة المزمع اعلانها بعد نجاح الثورة، كما تتعهد لهم بحماية الاراضي العربية المقدسة من أي اعتداء خارجي، وانها على استعداد لتقديم المساعدة والنصح لإقامة افضل انواع الحكم في مختلف البلاد العربية، اما بخصوص ادارة ولايتي بغداد والبصرة فان الحكومة البريطانية تجد ان هاتين الولايتين تتطلبان شكلا اداريا خاصا لحماية سكانهما من جهة ولأهميتهما للمصالح البريطانية من جهة اخرى[٦٣]. وعلى الرغم من ان الشريف حسين لم يكن مقتنع بمبررات مكماهون الا انه اضطر في اخر المطاف الى التنازل عن بعض مطالبه وتأجيل مناقشة بعض القضايا الى ما بعد الحرب، والتزم البريطانيين بتقديم الاسلحة والامدادات الى الشريف حسين، كما تعهدوا ان يدفعوا له واولاده ايضا اعانة شهرية قدرها (٦٠٠٠٠) جنيه استرليني[٦٤]. وفي ١٥ تشرين الثاني ١٩١٥ رد الشريف حسين على رسالة مكماهون وابلغه انه يوافق على ما اقترحه بشأن عدم ضم مرسين وأطنة الى الدولة العربية اما بشأن ولايتي حلب وبيروت وسواحلهما فهما ولايتان عربيتان خالصتان. وفي الاول من كانون الثاني ١٩١٦ بعث الشريف حسين برسالة اخرى الى مكماهون ابلغه فيها باستعداده للتنازل عن المنطقة الواقعة غرب دمشق- حمص- حلب على ان يكون من حق العرب المطالبة بها بعد انتهاء الحرب. وفي ١٠ اذار ١٩١٦ بعث مكماهون الى الشريف حسين برسالة ابلغه فيها ان الحكومة البريطانية وافقت على جميع مطالبه، وبذلك انتهت المراسلات بين الشريف حسين وبين السير هنري مكماهون ووافق الشريف حسين فيها على عدم حكمه المباشر لمحمية عدن، ومرسين- اسكندرونة، وبغداد، والبصرة، والمنطقة الواقعة غرب دمشق-حمص-حلب، مع السماح له بالمطالبة بالمنطقة الاخيرة بعد انتهاء الحرب[٦٥].

ولكن على الرغم من الوعود التي قطعتها بريطانيا للعرب بشأن تكوين دولة عربية مستقلة الا ان البريطانيين كانوا قد اتفقوا قبل ذلك مع كل من الفرنسيين والروس حول تقسيم الاراضي الخاضعة الى الدولة العثمانية، ومن ضمنها البلاد العربية، فيما بينهم بموجب اتفاقية سايكس بيكو Sykes–Picot Agreement التي تمت المصادقة عليها في ١٦ ايار ١٩١٦ والتي وقعها عن الجانب البريطاني السياسي البريطاني مارك سايكس Mark Sykes (١٨٧٩-١٩١٩) وعن الجانب الفرنسي الدبلوماسي والسياسي فرانسو جورج بيكو François Georges-Picot (١٨٧٠-١٩٥١)، وبذلك لم تكن بريطانيا صادقة بالوعود التي قطعتها للشريف حسين وزعماء الحركات الوطنية العرب[٦٦].

اعلن الشريف حسين الثورة على العثمانيين في ٥ حزيران ١٩١٦، وقاد اولاده الاربع الامراء علي، وعبد الله، وفيصل، وزيد، القبائل الثائرة وسيطروا على جدة وكذلك على ميناء ينبع وميناء املج، مما جعل القوات العثمانية الموجودة في مكة ان تتحصن في قلعتها واستسلموا للقوات العربية بعد شهر واحد من ذلك، كما استسلمت حامية طائف في ايلول ١٩١٦، كما تمكنت القوات العربية من محاصرة القوات العثمانية في المدينة، كما تمكنوا من السيطرة على سكة حديد الحجاز، وبذلك اصبحت القوات العثمانية المرابطة في عسير واليمن في عزلة تامة، وكان عدد القوات العثمانية في الحجاز حوالي (١٠٠٠٠) مقاتل، بينما كانت القوات العربية حوالي (٥٠٠٠٠) ثائر الا ان العثمانيين تمكنوا من الحصول على الدعم من سوريا بواسطة سكة حديد الحجاز وعندما استعان الشريف حسين بالبريطانيين لتزويده بالدعم المطلوب لم يسرعوا بتقديم الدعم له بل رفضوا امداده بالطائرات والمدفعية، ولكنهم زودوه بالأسلحة الخفيفة من الطراز القديم لذلك تم تخصيص بندقية واحدة لكل خمسة، وارسل خبراء عسكريين بريطانيين وفرنسيين الى الحجاز لوضع الخطط المناسبة للثوار واستنتج هؤلاء الخبراء ان الثوار يجيدون حرب الانصار بشكل مميز وحثوا الثوار على مهاجمة خط سكة حديد الحجاز، وفي ٢٧ حزيران ١٩١٦ قدم الحسين بيانا الى العالم الاسلامي كله اعلن فيه استقلال العرب الا ان البريطانيين منعوا نشر هذا الاعلان خشية على مصالحهم، وفي ٢ تشرين الثاني من العام نفسه اجتمع الشريف حسين برؤساء القبائل والوجهاء الداعمين للثورة ممن بايعوه ان يصبح ملكا على العرب، وتم تشكيل حكومة عربية مقرها مكة وجعل الشريف حسين ابنه علي رئيسا لتلك الحكومة، وابنه الاخر عبد الله وزيرا للخارجية، ولكن البريطانيين والفرنسيين لم يعترفوا بالشريف حسين زعيما للعرب كما لم يعترفوا بالحكومة التي شكلها، ولكنهم اعترفوا به فيما بعد ملكا على الحجاز[٦٧].

احدثت الثورة العربية صدمة لدى الحكومة العثمانية وظلت البلاغات العثمانية حتى السادس والعشرين من حزيران ١٩١٦ تصدر منكرة حدوث اية ثورة في الحجاز، وفي ٢٩ حزيران من العام نفسه نشرت صحيفة (الشرق) الرسمية بيانا اقرت فيه للمرة الاولى مقالا جاء فيه: " بعض الفئات القبلية هاجمت بضعة مراكز في جوار المدينة" ولم تذكر شيئا عن الشريف حسين والسيطرة على مكة وجدة من قبل القوات العربية

هنـاك، وفـي ٢ تمـوز ١٩١٦ صـدرت ارادة سنية مـن الحكومـة العثمانيـة تقضـي تنحيـة الشريف حسين عن منصبه وتعيين الشريف علي حيدر اميرا علـى مكـة بـدلا منـه، وبقـي امر الثورة غير معلن حتى سمحت الحكومة لصحيفة (طنين) التي تأسست بعد الانقلاب في اسطنبول بنشر معلومات غير دقيقة عن الثورة في الحجاز ووصفتها بانها عصيانا اثارته مؤامرة بريطانية وان الحكومة سوف تقضي على ذلك العصيان[٦٨].

الخاتمة:

من خلال دراسة نشأة حركة اليقظة العربية الحديثة والتحديات التي واجهتها حتى عام ١٩١٦ تم التوصل الى النتائج الاتية:

١- عندما بدأ الضعف والانحلال يظهر على مؤسسات الحكم العثماني في اواخر القرن التاسع عشر ادركت النخبة العربية المثقفة ان سقوط الدولة العثمانية اصبح مسألة وقت ليس الا، في الوقت الذي لم تنجح فيه محاولات الدولة العثمانية بإصلاح الاوضاع المتدهورة التي كانت تعاني منها، بالرغم من محاولات بعض السلاطين العثمانيين النهوض بها، الا ان تلك المحاولات لم تحقق النتائج المرجوة منها، وهنا قرر العرب اتخاذ الاجراءات المناسبة للتخلص من الحكم العثماني وتأسيس نظام حكم عربي مستقل يتناسب مع المعتقدات والتقاليد الثقافية العربية الموروثة، ومنذ بداية حركة اليقظة العربية ظهر الانقسام بشكل واضح في الاتجاهات الفكرية للنخب العربية المثقفة وتعددت المذاهب الفكرية للحركة الاصلاحية العربية، وانقسمت الى اتجاهات عدة منها الدينية، والعلمانية، والقومية، والاشتراكية، والاجتماعية. وعلى الرغم من الاختلافات في مبادئ تلك الحركات وايديولوجيتها الا انها جميعها كانت تدعوا الى الاصلاح كل حسب معتقداته، ونجحت تلك الحركات في كسب اعداد كبيرة من المثقفين العرب الذين اتفقوا على ضرورة الاصلاح والنهوض بواقع العرب.

٢- كان من بين التحديات التي واجهت حركة النهضة العربية هو الواقع الثقافي للمجتمع العربي الذي كان من الصعوبة عليه استيعاب الافكار الاصلاحية الجديدة بسهولة، لا سيما وان الرتابة التي عاشها ذلك المجتمع، لما يناهز اربعة قرون، تحت الحكم العثماني جعلته يجد صعوبة في تقبل التغيير، لذلك ليس من الغريب ان نجد بعض الحركات الاصلاحية تطالب بإصلاح الواقع العربي مع البقاء تحت السيطرة العثمانية.

٣- كانت الجهود الحثيثة التي بذلتها الدول الاوربية الاستعمارية من اجل احباط اية محاولة عربية نهضوية من العقبات الرئيسة التي واجهت حركة اليقظة العربية اذ سعت تلك الدول الى ابقاء العرب خاضعين لسيطرتها، وتمكنت من اقناعهم بالوقوف الى جانبها ضد الدولة العثمانية في الحرب العالمية الاولى، في الوقت الذي كانت تلك الدول تخطط لاقتسام البلاد العربية فيما بينها بعد الحرب وهذا ما تم الاتفاق عليه بموجب معاهدة سايكس بيكو (١٩١٦)، لذلك حرصت الدول الاوربية الاستعمارية بالوقوف ضد اية محاولة نهضوية عربية.

٤- كان اختلاف المفكرين العرب فيما بينهم بشأن اختيار اتجاه فكري محدد لليقظة العربية من العوامل التي ادت الى عرقلة مسيرة اليقظة العربية، لان ذلك ادى الى عدم توحيد جهودهم في توحيد اتجاهاتهم الفكرية لليقظة، في الوقت الذي كانوا فيه

متفقين على اهمية اليقظة العربية واجراء عملية اصلاح تنقذ العرب من واقعهم المتردي تحت ظل التحديات التي واجهتهم.

٥- ومن الملاحظ ان من عوامل ضعف الحركات الوطنية والقومية العربية، التي ظهرت في البلاد العربية اواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، هي عدم وجود تعاون فعال فيما بينها على الرغم من وجود الرغبة لدى قياداتها في تحقيق ذلك، الا ان بعد الولايات العربية بعضها عن البعض الاخر، وعدم توفر وسائل وطرق مواصلات جيدة بين تلك الولايات، وعدم انتشار الصحف بشكل واسع في الولايات العربية حال دون تحقيق ذلك.

٦- عانت بعض قيادات الحركات الفكرية العربية من عدم ادراكها للواقع السياسي الدولي ففي الوقت الذي كانت فيه تدعوا الى النضال السياسي المدعوم بالثورة المسلحة نجد انها لا تمتلك بشكل كافي الامكانيات اللازمة، المادية وغير المادية، للتفوق على العثمانيين والدول الاوربية الاستعمارية التي كانت تمتلك امكانيات عسكرية كبيرة، فضلا عن خبرتها في مواجهة الثورات والانتفاضات ضد حكمها في المستعمرات والمناطق التي كانت تسيطر عليها.

٧- من التحديات الاخرى التي واجهت اليقظة العربية هي حرص الدولة العثمانية على ابقاء نفوذها على البلاد العربية والتصدي الى اية محاولة عربية وحدوية تهدف للاستقلال عنها، لذلك ليس من الغريب ان نجد الحكومة العثمانية في عهد السلطان عبد الحميد الثاني عام ١٨٨٧ تقسم بلاد الشام اداريا الى ثلاث ولايات وسنجقين وهي ولاية حلب في الشمال، وولاية بيروت في الغرب، وولاية سوريا في الشرق، وسنجق لبنان وسنجق القدس.

الهوامش:

١. برو، توفيق علي، العرب والترك في العهد الدستوري العثماني ١٩٠٨-١٩١٤، ص ص ٣-٤.
٢. شكري، محمد فؤاد "واخرون"، بناء دولة مصر محمد علي "السياسة الداخلية"، ط١، القاهرة، ١٩٤٨، ص ص ٤-٥.
٣. السلطان محمود الثاني (١٧٨٥-١٨٣٩): سلطان الدولة العثمانية خلال الفترة ما بين (١٨٠٨-١٨٣٩). شهد عهده العديد من الاصلاحات العامة في البلاد ولا سيما في مجال التعليم والمجال العسكري، وتمكن من القضاء على الانكشارية في مذبحة القلعة التي دبرها لهم في ١ اذار ١٨١١، وقامت الدولة في عهده بقمع الثورة اليونانية (١٨٢١-١٨٣٢)، وشهد عهده تدمير الاسطول العثماني والاسطول المصري من قبل اساطيل الدول الكبرى(بريطانيا، وفرنسا، وروسيا) في معركة نفارين في ٢٠ تشرين الاول ١٨٢٧. للمزيد من التفاصيل انظر: اوزتونا، يلماز، تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة عدنان محمود سلمان، ط١، اسطنبول، ١٩٨٨، مج١، ص ص ٦٦٤-٦٦٧.
٤. السلطان عبد المجيد الاول (١٨٢٣-١٨٦١): سلطان الدولة لعثمانية خلال الفترة ما بين(١٨٣٩-١٨٦١)، وهو ابن السلطان محمود الثاني ابن السلطان عبد الحميد الاول، استعاد سيطرته على مصر بعد التعاون مع الدول الكبرى اثر ارغام محمد علي باشا على الخضوع لبنود معاهدة لندن خلال المدة ما بين(١٨٤٠-١٨٤١)، ودخلت الدولة العثمانية في عهده بحرب القرم (١٨٥٣-١٨٥٦) مع روسيا، وشهد عهده بعض الاصلاحات العامة. للمزيد من التفاصيل انظر: اوزتونا، المصدر السابق، مج٢، ص ص ٢٤-٣٣.
٥. قضى العثمانيين على حكم الاسرة القرلمانية في طرابلس الغرب واسقطوا حكم علي بك القرماني وعينوا بدله نجيب باشا واليا عليها عام ١٨٣٥، كما نجحوا خلال الفترة ما بين (١٨١٨-١٨٤٠) في احباط محاولات ال سعود للاستقلال بالحجاز واجزاء من الجزيرة العربية عن الدولة العثمانية، اضافة الى ذلك فانهم وقفوا ضد محاولات والي مصر محمد علي باشا الاستقلالية بمصر واستعانوا عليه بالدول الاوربية الكبرى وارغموه على الخضوع لمقررات معاهدة لندن (١٨٤٠) التي قضت على معظم نفوذه في مصر، كما ارسلوا خلال الفترة ما بين (١٨٤٩-١٨٧٢) حملات عدة للقضاء على نفوذ الائمة الزيديين في اليمن، فضلا عن ذلك فان العثمانيين تمكنوا من القضاء على نفوذ الشهابيين في لبنان وجعلوه تحت سيادتهم المباشرة عام ١٨٦١. للمزيد من التفاصيل انظر: برو، المصدر السابق، ص ص ٧-٩.
٦. برو، المصدر السابق، ص ٦.
٧. السلطان عبد العزيز(١٨٣٠-١٨٧٦): سلطان الدولة العثمانية خلال الفترة ما بين (١٨٦١-١٨٧٦)، وهو ابن السلطان محمود الثاني، تولى العرش بعد وفاة اخيه السلطان عبد المجيد، شهد عهده العديد من الاصلاحات العامة، ولكن تدهور اوضاع الدولة الاقتصادية اعاق الكثير من مشاريعه. للمزيد من التفاصيل انظر: كولن، صالح، سلاطين الدولة العثمانية، ترجمة منى جمال الدين، ط١، القاهرة، ٢٠١٤، ص ص ٢٩٦-٣٠٤.
٨. برو، المصدر السابق، ص ٦.
٩. السلطان عبد الحميد الثاني(١٨٤٢-١٩١٨): سلطان الدولة العثمانية خلال الفترة ما بين (١٨٧٦-١٩٠٩). تولى الحكم بعد عزل اخيه السلطان مراد الخامس عن الحكم اثر اصابته بمرض في الدماغ، على الرغم من وعوده بتطبيق دستور عام ١٨٧٦ الا انه لم يلتزم بتلك الوعود وشهد عهده دخول الدولة العثمانية في حرب مع صربيا عام ١٨٧٦، وحرب مع

روسيا(١٨٧٧-١٨٧٨)، وحرب مع اليونان عام ١٨٩٧، وحدثت مذابح الارمن في عهده منذ عام ١٨٩٥. تقرب الى المانيا وكون علاقات جيدة مع الالمان ومنحهم امتياز مد سكة حديد(بغداد- برلين)، ثار عليه اعضاء جمعية تركيا الفتاة عام ١٩٠٨ وعزل عن منصبه في العام التالي. للمزيد من التفاصيل انظر: علي، السلطان عبد الحميد الثاني حياته واحداث عهده، ط١، الانبار، ١٩٨٧.

١٠. برو، المصدر السابق، ص ٦.
١١. الادهمي، محمد مظفر، العراق" تأسيس النظام الملكي وتجربته البرلمانية تحت الانتداب البريطاني"، ط١، بغداد، (د.ت.)، ص ٢٥.
١٢. برو، المصدر السابق، ص ١٢.
١٣. المصدر نفسه، ص ص ١٢-١٣.
١٤. المصدر نفسه، ص ١٩.
١٥. المصدر نفسه، ص ص ١٩-٢٠.
١٦. بطرس البستاني(١٨١٩-١٨٨٣): اديب ومفكر عربي لبناني من رواد حركة النهضة العربية الحديثة، اهتم بدراسة الادب والتاريخ والصحافة، وقام بتأليف كتب وموسوعات عدة، كما شارك بترجمة الكتاب المقدس الى العربية عام ١٨٦٣، ومن مؤلفاته المهمة دائرة المعارف، وقاموس محيط المحيط، واصدر صحيفة نفير سوريا عام ١٨٦٠ ودعا فيها الى العلمانية والعدالة والمساواة. للمزيد من التفاصيل انظر: خوري، يوسف قزما، رجل سابق لعصره بطرس البستاني، ط١، بيروت، ١٩٩٥.
١٧. ناصيف اليازجي(١٨٠٠-١٨٧١): هو احد رواد حركة النهضة العربية ولد في لبنان واكمل دراسته التقليدية فيها، واهتم بدراسة المخطوطات في الاديرة واطلع على تراث الامة العربية واعجب به واصبح مهتما بإحياء الماضي، والف كتب مدرسية في العلوم العربية، وعقد الكثير من المجالس الادبية والف كتاب "مجمع البحرين". للمزيد من التفاصيل انظر: سابا، عيسى ميخائيل، الشيخ ناصيف اليازجي، ط١، بيروت، ١٩٥٤.
١٨. احمد فارس الشدياق(١٨٠٤-١٨٨٧): ولد في لبنان ويعد احد رواد حركة النهضة العربية ومن دعاة حركة الاصلاح والتنوير في القرن التاسع عشر، اهتم بشكل كبير في دراسة الادب العربي ونشره، وعلى الرغم من كونه ماروني بالولادة فانه تحول الى اكثر من طائفة مسيحية حتى اعتنق الإسلام، وسافر الى دول ومناطق عدة واستقر بها لفترات ومنها: بريطانيا، ومالطا، وفرنسا. توفى ودفن في اسطنبول. للمزيد من التفاصيل انظر: الصلح، عماد، احمد فارس الشدياق "حياته وعصره"، ط١، بيروت، ١٩٨٧.
١٩. عبد الرحمن الكواكبي(١٨٥٥-١٩٠٢): هو من ابرز رواد حركة النهضة العربية في القرن التاسع عشر، ومن دعاة الفكر القومي العربي، عمل في بداية شبابه بصحيفة الفرات التي كانت تصدر في حلب وهي من الصحف الرسمية، الا انه تركها واسس مع بعض زملائه صحيفة الشهباء التي تم اغلاقها من قبل الحكومة بعد صدور ١٥ عدد منها كون الموضوعات المطروحة بها لا تتفق مع سياسة الحكومة، ثم شغل بعض الوظائف الحكومية، وسافر الى دول عدة ومنها الهند والصين ومصر، ابرز مؤلفاته كتاب «طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد»، الذي انتقد فيه الاستبداد السياسي. للمزيد من التفاصيل انظر: العقاد، عباس محمود، عبد الرحمن الكواكبي، ط١، القاهرة، (د.ت.).
٢٠. محمد عبده(١٨٤٩-١٩٠٥): هو محمد عبده حسن خير الله رجل دين مصري، من رواد حركة الاصلاح الديني والتنوير في القرن التاسع عشر، شارك في الثورة العرابية في مصر ضد البريطانيين، وانتقل الى فرنسا، وتعاون هناك مع جمال الدين الافغاني في اصدار صحيفة

العروة الوثقى، عاد الى مصر عام ١٨٨٩ بعد صدور العفو عنه وعمل في القضاء، وفي عام ١٨٩٩ اصبح مفتي مصر. للمزيد من التفاصيل انظر:عثمان، امين، محمد عبده، ط١، القاهرة، ١٩٤٤؛ عبد الرزاق، مصطفى، محمد عبده، ط١، القاهرة، ٢٠١٥.

٢١. قاسم امين(١٨٦٣-١٩٠٨): مفكر ومصلح وقاضي مصري من رواد حركة النهضة العربية الحديثة من ابناء الطبقة الارستقراطية المصرية، وهو من اوائل المطالبين بمنح حقوق المرأة في البلاد العربية، وطالب بعدم اجبار النساء على لبس الحجاب، وحث على تعليم المرأة ومساهمتها مع الرجل في الحياة العامة. كون ذلك حسب اعتقاده سوف يعمل على النهوض بالأمة. اكمل دراسته في القانون في فرنسا وتأثر بالحياة الغربية، له مجموعة مؤلفات ومنها كتاب تحرير المرأة الصادر عام ١٨٩٩، كان يرى ان الدين الاسلامي لم يقيد المرأة ويبخس حقوقها بل ان العادات والتقاليد الاجتماعية هي من ادت الى ذلك. للمزيد من التفاصيل انظر: عمارة، محمد، قاسم امين تحرير المرأة والتمدن الاسلامي، ط١، مصر، ١٩٨٥.

٢٢. رافق، عبد الكريم، العرب والعثمانيون ١٥١٦-١٩١٦، ط١، دمشق، ١٩٧٤، ص ص ١٩-٣٥: برو، المصدر السابق، ص ١٤.

٢٣. اللورد كرومر Lord Cromer (١٨٤١-١٩١٧): وأسمه افلين بيرنغ Evelyn Baring، ومنذ ١٨٩٢ اصبح يعرف بـ (اللورد كرومر)، وهو سياسي بريطاني من عائلة ارستقراطية معروفة، كان والده عضوا في البرلمان البريطاني، وأخيه الأكبر مصرفي، وجده لوالدته ادميرال. قضى كرومر المدة ما بين (١٨٥٨-١٨٧٢) بدراسة العلوم العسكرية وتخرّج ضابطا في صنف المدفعية، ثم غادر إلى الهند عام ١٨٧٢ وأصبح السكرتير الخاص لنائب الملكة في الهند اللورد نورثبروك Lord Northbrook . وفي المدة ما بين(١٨٧٩-١٨٨٠) عمل في مصر بمنصب المراقب العام للديون المصرية، ثم تولى منصب القنصل العام في مصر في المدة(١٨٨٣-١٩٠٧) ، ثم حصل على لقب بارون عام ١٨٩٢، وعلى لقب فايكاونت عام ١٨٩٩، ومن ثم على لقب ايرل عام ١٩٠٧. للمزيد من التفاصيل انظر:

٢٤. Cannon, John(ed.), The Oxford Companion to British History, Great Britain, Oxford, University Press, ٢٠٠٢, P. ٨١; The New Encyclopedia Britannica, Vol. ٢ , PP. ٧٢٢-٧٢٣.

٢٥. صبحي، حسن، اليقظة القومية الكبرى" يوليو ١٩٥٢: اصولها وأبرز مظاهرها وانجازاتها"، ط١، القاهرة، ١٩٦٥، ص ص ٦٢-٦٣.

٢٦. برو، المصدر السابق، ص ص ١٦-١٧.

٢٧. نقلا عن: روجان، يوجين، العرب من الفتوحات الاسلامية الى الحاضر، ترجمة: محمد ابراهيم الجندي، ط١، القاهرة، ٢٠١١، ص ١٨٤.

٢٨. برو، المصدر السابق، ص ص ١٧- ٢٣.

٢٩. انيس، محمد، الدولة العثمانية والشرق العربي (١٥١٤-١٩١٤)، ط١، القاهرة، (د.ت.)، ص٢٦٦.

٣٠. شريف، محمد بديع "واخرون"، دراسات في النهضة العربية الحديثة، ط١، القاهرة، (د.ت.)، ص ص ٧٧-٧٩.

٣١. الشيباني، احمد، القومية العربية" في النظرية والتطبيق"، ط١، القاهرة، ١٩٦٦، ص ٢٨-٢٩.

٣٢. شريف "واخرون"، المصدر السابق، ص ص ٨٠-٨١.

٣٣. برو، المصدر السابق، ص ٢٤.

٣٤. انيس، المصدر السابق، ص ٢٦٧.

٣٥. للمزيد من التفاصيل عن الآراء التي طرحها الكواكبي في كتابه ام القرى انظر: السيد الفراتي، (عبد الرحمن الكواكبي)، ام القرى، ط٢، القاهرة، ١٨٩٨.
٣٦. برو، المصدر السابق، ص ص ٣٢- ٣٤.
٣٧. رافق، المصدر السابق، ص ٥١٤؛ شريف "واخرون"، المصدر السابق، ص ص ٨١-٨٢.
٣٨. ارسلان، شكيب، النهضة العربية في العصر الحاضر، ط١، بيروت، ٢٠٠٨، ص ص ٣٤-٣٥.
٣٩. برو، المصدر السابق، ص ١٩.
٤٠. شريف "واخرون"، المصدر السابق، ص ص ٨٢- ٨٣.
٤١. المصدر نفسه، ص ص ٨٥- ٨٦.

٤٢. نقلا عن: لوتسكي، تاريخ الاقطار العربية الحديث، ترجمة عفيفة البستاني، ط١، موسكو، ١٩٧١، ص ٣٩٧.
٤٣. شريف "واخرون"، المصدر السابق، ص ص ٨٦- ٨٧.
٤٤. المصدر نفسه، ص ٨٨.
٤٥. الشيباني، المصدر السابق، ص ٥٤.
٤٦. حوراني، البرت، تاريخ الشعوب العربية،ترجمة احمد صقر، ط١، سوريا، ١٩٩٧، ص٣٧٨.
٤٧. رافق، المصدر السابق، ص ص ٥٣١-٥٣٢.
٤٨. عزيز علي المصري(١٨٧٩-١٩٦٥): عسكري وسياسي مصري من رواد الحركة القومية العربية، ساهم في تأسيس العديد من الجمعيات السياسية ومنها الجمعية القحطانية وجمعية العهد، اكمل دراسته في الكلية العسكرية بإسطنبول، ثم درس في كلية الأركان وتخرج عام ١٩٠٤، وكان احد اعضاء جمعية الاتحاد والترقي وشارك في انقلاب عام ١٩٠٨ ضد السلطان وحكومته، ثم ترك جمعية الاتحاد والترقي بسبب سياسة الاتحاديين تجاه العرب. شارك في التصدي للاحتلال الايطالي الى ليبيا، ثم استقر عام ١٩١٣ في اسطنبول، ولكنه اعتقل في شباط ١٩١٤ بسبب نشاطه السياسي المعارض للحكومة، وحكم عليه بالإعدام، ولكن عفي عنه وأطلق سراحه في نيسان ١٩١٤. للمزيد من التفاصيل انظر: المؤمن، مكي حبيب ومنهل، علي عجيل، من طلائع يقظة الامة العربية، ط١، العراق، ١٩٨١، ص ص ٩-٤٤.
٤٩. شريف "واخرون"، المصدر السابق، ص ص ٨٨-٩١.
٥٠. هرشيو هربرت كتشنر Horatio Herbert Kitchener(١٨٥٠-١٩١٦): ضابط بريطاني عمل في خدمة القوات البريطانية في بعض الولايات العثمانية، وتولى العديد من المناصب العسكرية المهمة، وخلال الفترة ما بين (١٨٩٢-١٨٩٩) أصبح قائدا عاما للجيش المصري، وتولى قيادة القوات البريطانية- المصرية التي هاجمت السودان عام ١٨٩٨، وبعد سيطرته على السودان اصبح عام ١٨٩٩ القائد العام للسودان واشرف على انجاز بعض المشاريع الاصلاحية هناك، وخلال الفترة ما بين (١٩٠٠-١٩٠٢) شارك مع القوات البريطانية المقاتلة للبوير في حرب البوير الثانية بجنوب افريقيا. ومن ثم توجه الى الهند بعد ان تم تنصيبه قائدا عاما للقوات البريطانية هناك، وبقى بالهند خلال الفترة ما بين (١٩٠٢-١٩٠٩)، ثم اصبح المعتمد البريطاني في مصر خلال الفترة ما بين (١٩١١-١٩١٤) وعندما اندلعت الحرب العالمية الاولى استدعي الى بلاده، واصبح وزيرا للحرب خلال الفترة (١٩١٤-١٩١٦). للمزيد من التفاصيل انظر:
٥١. The New Encyclopedia Britannica, USA., Vol. V, ١٩٧٦, P. ٨٤١.
٥٢. شريف "واخرون"، المصدر السابق، ص ص ٩١-٩٣.

٥٣. المصدر نفسه، ص ص ٩٥-٩٨.
٥٤. انطونيوس، جورج، يقضة العرب، ترجمة: ناصر الدين الاسد واحسان عباس، ط٦، بيروت، ١٩٨٠، ص ص ١٩١-١٩٢.
٥٥. شريف "واخرون"، المصدر السابق، ص ص ٩٥-٩٨.
٥٦. حنفي، قدري محمود، بواعث حركة النهضة العربية بين العروبة والاسلام، ط١، الامارات، ٢٠١٤، ص١٩.
٥٧. شريف "واخرون"، المصدر السابق، ص ص ١٠٠-١١٠.
٥٨. انيس، المصدر السابق، ص ٢٦٩.
٥٩. اليافي، نعيم، حركة الاصلاح الديني في عصر النهضة، ط١، دمشق، ٢٠٠٠، ص ٣١.
٦٠. انيس، المصدر السابق، ص ص ٢٧٩-٢٨٠.
٦١. لوتسكي، المصدر السابق، ص ٤٥٤.
٦٢. انيس، المصدر السابق، ص ص ٢٨٠-٢٨٢.
٦٣. انطونيوس، المصدر السابق، ص ٢٥٣.
٦٤. انيس، المصدر السابق، ص ص ٢٨٠-٢٨٢.
٦٥. المصدر نفسه، ص ص ٢٨٢-٢٨٤.
٦٦. لوتسكي، المصدر السابق، ص ٤٥٦.
٦٧. انيس، المصدر السابق، ص ص ٢٨٣-٢٨٥.
٦٨. المصدر نفسه، ص ٤٥.
٦٩. لوتسكي، المصدر السابق، ص ص ٤٥٦-٤٥٨.
٧٠. انطونيوس، المصدر السابق، ص ص ٢٩٧-٢٩٨.